

سورة القيامة

مكية، وآياتها أربعون [نزلت بعد القارعة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَالِمَةِ ②﴾ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلَى قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُؤِيَ بَنَانَهُ ④ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ⑥﴾

إدخال «لا» النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس [من المتقارب]:

لَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِي
ي لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفْرٌ^(١)
وقال غوثة بن سلمى [من الوافر]:

أَلَا نَادَتْ أَمَامَةً بِأَخْتِمَالٍ لِيَتَحَزَّنِي فَلَا بِكَ مَا أَبَالِي^(٢)

(١) تقدم.

(٢) إذا نادت أمامة باحتمال فسيرى ما بدالك أو أقيمي
لتحزنني فلا بك ما أبالي
فأيما ما أتيت ففني تقالي

لغوثة بن سلمى بن ربيعة، يقول: إذا أظهرت أمامة محبوبتي أمارات الارتحال عني لتحزنني، فأطلق النداء على ذلك مجازاً. ويروى «ألا» بدل «إذا» ولا زائدة قبل القسم؛ لأن المعنى فبحقك وحياتك ما أبالي ولا أحزن، وحسن زيادتها: أنها في الغالب مسلطة على دعوى الخصم نافية لها، وفي القسم بمحبوبته على عدم المبالاة ببعدها عنه نوع تهكم بها. وقيل: المعنى فلا يقع ما أبالي على الدعاء، وهذا إنما يظهر على رواية: فلا بك ما أبالي؛ وأصله يكن، أي: يحصل، فحذفت النون عند الجزم تخفيفاً، وما موصولة. ويروى: فأبك، أي: أبعدك الله: دعاء أيضاً. والتقالي: التباعد، أي: فسيري ما دام يظهر لك المسير؛ أو أقيمي، فهما منك سواء، وأي شيء فعلينه فهو ناشئ عن تباعد بيني وبينك، ومع ذلك لا أعتني بشأنك لأنني مشغول بأهم منك: وهو موت أقاربه، والتفت إليها بالخطاب ليصدعها بالجواب.

ينظر: لسان العرب (با)، وتاج العروس (الباء)، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٢٥٣، والخصائص ١٩/٢، وروصف المباني ص ١٤٦، وسر صناعة الإعراب ١/١٠٤، ١٤٤، وشرح المفصل ٣٤/٨، ١٠١/٩، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٠٧، ولسان العرب (أهل)، واللمع ص ٥٨، ٢٥٦.

وفائدتها تأكيد القسم، وقالوا إنها صلة مثلها في ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] وفي قوله [من الرجز]:

فِي بَشْرِ لَاحُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرَ^(١)

واعترضوا عليه بأنها إنما تزداد في وسط الكلام لا في أوله، وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل ببعضه ببعض، والاعتراض صحيح؛ لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام، ولكن الجواب غير سديد. ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته. والوجه أن يقال: هي للنفي. والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له. يدل ذلك عليه قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ الْجُبُورِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) [الواقعة: ٧٥-٧٦]، فكانه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام؛ يعني أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل إن «لا» نفي لكلام ورد له قبل القسم، كأنهم أنكروا البعث فقيل: لا، أي ليس الأمر على ما ذكرتم، ثم قيل: أقسم بيوم القيامة. فإن قلت: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] والأبيات التي أنشدتها: المقسم عليه فيها منفي، فهلا زعمت أن «لا» التي قبل القسم زادت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له، وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا، كقوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ آفِئَةٍ﴾ (٦٦)، لا تتركون سدى؟ قلت: لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساع، ولكنه لم يقصر. ألا ترى كيف لقي ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ [البلد: ١]، بقوله: ﴿لَقَدْ عَفَا الْإِنْسَانُ﴾ [النين: ٤]، وكذلك ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ الْجُبُورِ﴾ (٧٥) [الواقعة: ٧٥]، بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) وقرئ: «لأقسم» على أن اللام للابتداء. وأقسم خير مبتدأ محذوف، معناه: لأنا أقسم. قالوا: ويعضده أنه في الإمام بغير ألف ﴿بِالنَّفْسِ الْوَأَمَّةِ﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيامة على تقصيرهن في

(١) في بشر لا حور سرى وما شعر بإفكه حتى إذا الصبح جسر

«لا» زائدة بين المضاف والمضاف إليه شذوذاً. والحور - بالضم -: الهلكة جمع حائر أي هالك، كيزل وبازل، ونزل ونازل. وقيل: الحور بمعنى الهلاك، وجمعه: أحور، أي: سرى في بشر هلاك وما درى بذلك. وقوله: «إفكه» يجوز تعلقه بشعر، ويجوز تعلقه بسرى؛ وشبه سبب الهلاك بالبشر على طريق التصريح للتحير والضرر بالوقوع في كل، ولذلك قال: سرى، وهو يناسب الظلمة والحيرة؛ لأنه بمعنى سار ليلاً. والإفك: الباطل؛ واستعار الصبح للحق على طريق التصريح. وحشر: أضاء واتضح، فحينئذ تبين كذبه، أي: دام على كذبه حتى ظهر الحق. ينظر: ديوانه ٢٠، ٢٢، والأزهية ص ١٥٤، والأشبه والنظائر ٢/١٦٤، وخزانة الأدب ٤/٥١، ٥٢، ٥٣، وشرح المفصل ٨/١٣٦، وتاج العروس (حور)، (لا)، وتهذيب اللغة ٥/٢٢٨، ١٥/٤١٨، وبلا نسبة في لسان العرب (حور)، (غير)، (لا)، وخزانة الأدب ١١/٢٢٤، والخصائص ٢/٤٧٧، وجمهرة اللغة ص ٥٢٥، ومجمل اللغة ٢/١٢٠.

التقوى أو بالتى لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان . وعن الحسن : إن المؤمن لا تراه إلا لائماً نفسه، وإن الكافر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه^(١) . وقيل : هي التى تتلوم يومئذ على ترك الأزداد إن كانت محسنة . وعلى التفريط إن كانت مسيئة، وقيل : هي نفس آدم، لم تزال تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة . وجواب القسم ما دل عليه قوله ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾^(٢) وهو لتبعثن . وقرأ ٢٤٥/٢ بفتادة : «أن لن تُجْمَعَ عظامه»، على البناء للمفعول . والمعنى : نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميمًا ورفانا مختلطًا بالتراب، وبعدهما سفتها الرياح وطيرتها في أبعاد الأرض . وقيل إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأحنس بن شريق^(٣) وهما اللذان كان رسول الله ﷺ يقول فيهما : «اللهم اكفني جاري السوء» قال لرسول الله ﷺ : يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره رسول الله ﷺ ؛ فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام؟ فنزلت (١٦٩١) ﴿بَلَى﴾ أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع، فكانه قيل ﴿بَلَى﴾ نجمعها و﴿قَادِرِينَ﴾ حال من الضمير في جمع، أي : نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأول إلى أن نسوي بنانه أي : أصابعه التي هي أطرافه، وآخر ما يتم به خلقه . أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف بكبار العظام . وقيل : معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه، أي نجعلها مستوية شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال، والبسط والقبض، والتأني لما يريد من الحوائج . وقرئ «قادرين» أي : نحن قادرين، ﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عطف على ﴿أَيْحَسِبُ﴾ فيجوز أن يكون مثله استفهاماً، وأن يكون إيجاباً على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر، أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب ﴿لِيَفْجُرَّ أَمَانَهُ﴾ ليدوم على

١٦٩١ - ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٤٦٩) دون إسناد .

وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١٢٧/٤) غريب وهو في تفسير الثعلبي والبغوي وأسباب النزول للواحدي هكذا من غير سند ولا راو .

وقال ابن حجر : ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد انتهى .

(١) قوله : «وأن الكافر يمضي قدماً لا يعاتب» في الصحاح مضى قدماً - بضم الدال - : لم يعرج ولم ينشأ . (ع)

(٢) قوله : «ختن الأحنس بن شريق» في الصحاح «الختن» بالتحريك : كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ ؛ وعند العامة ؛ ختن الرجل زوج ابنته . (ع)

فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. يقول: سوف أتوب، سوف أتوب: حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله ﴿يَنْتَلِ﴾ سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ﴿إِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ونحوه: ويقولون متى هذا الوعد.

﴿فَوَإِنْ بَرَقَ الظُّمُورُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَرَّةَ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾

﴿بَرَقَ الظُّمُورُ﴾ تحير فزعاً؛ وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. وقرئ: «برق» من البريق، أي لمع من شدة شخصه. وقرأ أبو السمال: بلى، إذا انفتح وانفرج. يقال: بلى الباب وأبلىقته وبلقته: فتحته ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ وذهب ضوؤه، أو ذهب بنفسه. وقرئ: «وخسف» على البناء للمفعول ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ حيث يطلعهما الله من المغرب. وقيل: وجمعا في ذهاب الضوء^(١) وقيل: يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار. وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى ﴿الْقَمَرُ﴾ بالفتح المصدر، وبالكسر: المكان. ويجوز أن يكون مصدرًا كالمرجع، وقرئ بهما ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفرد ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ، وكل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ خاصة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مستقرّ العباد، أي استقرارهم. يعني: أنهم لا يقدرّون أن يستقرّوا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه^(٢) ترجع أمور العباد، لا يحكم فيها غيره، كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، أو إلى ربك مستقرّهم، أي: موضع قرارهم من جنة أو نار، أي: مفروض ذلك إلى مشيئته، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عمل عمله ﴿و﴾ بما ﴿وَأَخَّرَ﴾ منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به، وبما أخره فحلفه. أو بما قدم من عمل الخير والشر، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده. وعن مجاهد: بأول عمله وآخره. ونحوه: فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ﴿بَصِيرَةٌ﴾ حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣] أو عين بصيرة. والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ، ففيه ما يجزىء عن الإنباء؛ لأنه شاهد عليها بما

(١) قوله: «وقيل وجمعا في ذهاب الضوء» لعله: وقيل جمعا. (ع)

(٢) قوله: «وينصبوا إليه أو إلى حكمه» في الصحاح نصب القوم: ساروا يومهم، وهو سير لين، ونصب الرجل - بالكسر - نصبا: تعب. (ع)

عملت؛ لأن جوارحه تنطق بذلك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَمْسُكُونَ﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَلَوْ أَلْفٌ مَّعَاذِيرُكُمْ﴾ ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها. وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره، وقال: المعاذير الستور، واحدها معذار، فإن صح فلائنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب. فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليس بجمع معذرة، إنما هو اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر^(١).

﴿لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿إِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِجْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢١) ﴿وَجُودٌ بِوَيْبِرٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) ﴿إِلَى رِبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) ﴿وَجُودٌ بِأَسِرَةٍ﴾ (٢٤) ﴿نَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٥)

الضمير في ﴿بِهِ﴾ للقرآن. وكان رسول الله ﷺ إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن يتفلس منه، فأمر بأن يستنصت له ملقياً إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضي إليه وحيه، ثم يقف به بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات/٢/٢٤٦٦/٢٤٦٦ الله عليه يقرأ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ لتأخذه على عجلة، ولثلاثا يتفلس منك. ثم علل النهي عن العجلة بقوله ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك ﴿إِذَا قَرَأْتَهُ﴾ جعل قراءة جبريل قراءته: والقرآن القراءة ﴿فَانْبِجْ قُرْآنَهُ﴾ فكن مقفياً له فيه ولا ترأسه، وطأمن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ إذا أشكل عليك شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعاً، كما ترى بعض الحراص على العلم؛ ونحوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْصَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤]، ﴿كَلَّا﴾ ردع لرسول الله ﷺ عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة، وقد بالغ في ذلك بإتباعه قوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء، ومن ثم تحبون العاجلة ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ وقرئ بالياء وهو أبلغ فإن قلت: كيف اتصل قوله ﴿لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ﴾ إلى آخره، بذكر القيامة؟ قلت: اتصاله به من جهة هذا للتخلص منه، إلى التوبيخ بحب العاجلة، وترك

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وإنما هو من أبنية جمع التكسير انتهى، وهو صحيح، وقيل: معاذير جمع معذار، وهو الستر فالمعنى ولو أرخى ستوره، والمعاذير: الستور. بلغة اليمن قاله الضحاك، والسدي.
قال السمين: هذا القول منه يحتمل أن يكون بياناً للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور أو الاعتذارات، وأن يكون بياناً للعلاقة المسوغة في التجوز. انتهى الدر المصون.

الاهتمام بالآخرة. الوجه: عبارة عن الجملة^(١) والناصرة من نضرة النعيم ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (١٣) تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ تُنظِرُ﴾ (١٧) [القيامة: ١٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافُ﴾ (٣٥) ، ﴿إِلَى اللَّهِ صَبِيرٌ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أَنتَ﴾ [هود: ٨٨]، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه^(٢): محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل [من الكامل]:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ وَالْبَخْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نَعْمًا^(٣)

وسمعت سرورية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عييتي نويظرة إلى الله وإليك، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، والباسر: الشديد العبوس، والباسل: أشد منه، ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه ﴿تَنْظُرُ﴾ تتوقع أن يفعل بها فعل هو في شدته وفضاعته ﴿نَافِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر، كما توقعت الوجوه

(١) قال محمود: «الوجه كناية عن الجملة، وقدم إلى ربها ليفيد الحصر... إلخ» قال أحمد: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يندندن ويطنل في جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاه: صنع في مصادمتها بالاستدلال، على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول، لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره، ولا يعدل به عز وعلا منظورًا سواه؛ وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثل شيء؛ ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه، ولم يؤثر عليه؛ فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم، نسال الله العظيم أن لا يصرف عنا وجهه، وأن يعيذنا عن مزلق البدعة ومزلات الشبهة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(٢) قوله: «لو كان منظورًا إليه» عدم كونه منظور إليه تعالى مبني على مذهب المعتزلة، وهو عدم جواز رؤيته تعالى. ومذهب أهل السنة جوازها. ويجوز أن يكون تقديم المفعول هنا للاهتمام بذكر المنظور إليه، الذي يقتضي النظر إليه نضرة وجوه الناظرين، لا للاختصاص. (ع)

(٣) يقول: وإذا رجوت مكارمك زدتنى نعمًا فالنظر إليه كناية عن ذلك. ويجوز أن المعنى: بمجرد نظري إليك تجيبني فوق مسئولتي، ولا تحتاج إلى التصريح بالطلب. ومن ملك: تمييز مقترن بمن. والبحر دونك: جملة اعتراضية أو حالية، أي: أقل منك في الخيرات والمكارم.

ينظر البحر: ٣٨٩/٨، الدر المصون: ٤٣١/٦.

الناصرة أن يفعل بها كل خير.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَاللَّفَتِ الْبَسَاقَ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَيْكِ يَوْمَيزِ الْمَسَاقَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك، وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين. والضمير في ﴿بَلَغَتْ﴾ للنفس وإن لم يجز لها ذكر، لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها، كما قال حاتم [من الطويل]:

أَمَاوِيٍّ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(١)

وتقول العرب: أرسلت، يريدون: جاء المطر، ولا تكاد تسمعونهم يذكرون السماء ﴿التَّرَاقِيَ﴾ العظام المكتنفة لشفرة النحر عن يمين وشمال. ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقتها: وقال حاضرو صاحبها - وهو المحتضر - بعضهم لبعض ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ أيكم يرقيه مما به؟ وقيل: هو من كلام ملائكة الموت: أيكم يرقى بروحه؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ ﴿وَلَمَّا﴾ المحتضر ﴿أَنَّ الْفِرَاقَ﴾ أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ﴿وَاللَّفَتِ﴾ ساقه بساقه والتوت عليها عند علز^(٢) الموت. وعن قتادة: ماتت رجلاه فلا تحملانه، وقد كان عليهما جوالاً.

(١) أماوي ما يغني الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أراد شراء المال كان له وفر

لحاتم الطائي، والهمزة للنداء، ومأوي: مرخم، أصله: مأوية، اسم أمه وهي بنت عفير، وكانت تلومه. وأصله: نسبة للماء، لأنها تشبهه في اللين والرقّة والصفاء والشراء. والثروة: الغنى. والحشرجة: تردد صوت النفس في الصدر. والضمير النفس وإن لم تذكر ادعاء لشهرتها. روي أنه لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قالت له عائشة لعمر ك ما يغني... البيت، فقال: لا تقولي هذا يا بنية (وجاءت سكرة الحق بالموت) وهي قراءة منسوبة إليه وكرر نداء مأوية للتقريع، وغاد ورائح: آت وذاهب. وقوله: «من المال» أي من آثاره، ولو كفت «علم» عن العمل في المفعول وعبر عن نفسه بالظاهر؛ لأن هذا الكلام تتحدث به نفوس الأرواح، فاعتبر صدوره منهم. وثراء المال: الغنى به، أو جمعه. والوفر: الزيادة والمال الكثير.

ينظر: ديوانه ص ١٩٩، والأغاني ٢٩٥/١٧، وجمهرة اللغة ص ١٠٣٤، ١١٣٣، وخزانة الأدب ٢١٢/٤، والدرر ٢١٥/١، والشعر والشعراء ٢٥٢/١، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٦١، ولسان العرب (قرن)، وأساس البلاغة (حشر)، وبلا نسبة في لسان العرب (حشرج)، وهمع الهوامع ١/ ٦٥.

(٢) قوله: «علز الموت» هو كالرعدة تأخذ المريض. (ع)

وقيل: شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، على أن الساق مثل في الشدة. وعن سعيد بن المسيب: هما ساقاه حين تلفان في أكفانه ﴿الَسَّاقُ﴾ أي يساق إلى الله وإلى حكمه.

﴿وَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعٌ (٣٣) أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَكَ (٣٤)﴾
 ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَكَ ﴿٣٥﴾

﴿وَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١)﴾ يعني الإنسان في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَعَ عِظَامُهُ (٣٢)﴾ [القيامة: ٣] ألا ترى إلى قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُبْرَكَ سُنَى (٣١)﴾ [القيامة: ٣٦]، وهو معطوف على ﴿يَنْتَلِ أَيَّانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣١)﴾ [القيامة: ٦] أي: لا يؤمن بالبعث، فلا صدق بالرسول والقرآن. ولا صلى ويجوز أن يراد: فلا صدق ماله، بمعنى: فلا زكاة. وقيل: نزلت في أبي جهل ﴿يَمْتَطِعُ﴾ ٢٤٦/٢ ب يتبختر. وأصله يتمطط، أي: يتمدد، لأن المتبختر يمد خطاه. وقيل: هو من المطا وهو الظهر، لأنه يلويه. وفي الحديث: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم» (١٦٩٢) يعني:

١٦٩٢ - أخرجه الترمذي (٥٢٦/٤ - ٥٢٧) كتاب الفتن: باب (٧٤) حديث (٢٢٦١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥٢٥/٦) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٣٠٨/١) وابن المبارك في الزهد (٥٢/٢) والعقيلي (١٦٢/٤) وابن عدي في «الكامل» (٢٣٣٥/٦) كلهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب وقد رواه أبو معاوية عن يحيى بن سعيد الأنصاري حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل الواسطي ثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه ولا يعرف لحديث أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أصل وإنما المعروف حديث موسى بن عبيدة وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث عن يحيى بن سعيد مرسلًا ولم يذكر فيه عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر. هـ.

وأخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» كما في «تخريج الكشاف» (١٢٨/٤) من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا. وقال الدارقطني: غريب عن مالك والمشهور عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر. هـ.

وله طريق ثالث أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥٢٥/٦) وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» كما في «تخريج الكشاف» (١٢٨/٤) وابن أبي الدنيا كما في «تفسير ابن كثير» (٣٠٩/٤) من طريق يحيى بن سعيد عن أبي موسى عن يحيى بن عمر.

وعند البيهقي مرسلًا ولم يذكر فيه ابن عمر. وللحديث شاهد من حديث خولة وأبي هريرة. - حديث خولة: أخرجه ابن حبان (١٨٦٤ - موارد) من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبيد بن سنوطا عن خولة بنت قيس مرفوعًا. وإسناده ضعيف لضعف مؤمل بن إسماعيل.

